علماء حاضرة تيندوف ودورهم في توثيق وإثراء المعرفة الإنسانية من خلال الوثائق والمخطوطات في القرن 19م

د .بريك الله حبيب

المركز الجامعي علي كافي تيندوف(الجزائر)

الملخص:

تميزت قبيلة تجكانت بدورها الهام في اثراء الحياة العلمية والثقافية لحاضرة تيندوف وما جاورها بفضل علمائها وفقهائها الذين شكلوا أهم روافد الحياة العلمية بالمدينة في القرنين 19و20 ميلاديين، وقد لعبت قبيلة تجكانت دورا بارزا في هذا النشاط العلمي والحركية الثقافية البارزة في هذا الميدان من مساهمات علمية سواء بالتأليف او النساخة أو الفتوى أو غيرها من مظاهر النشاط العلمي والمعرفي، وقد ساهمت قبيلة تجكانت في نشر مبادئ الدين والأخلاق الفاضلة بتيندوف والتي عرفت منذ القدم على أنها منبرا علميا بامتياز ومزارا للعلماء وطلبة العلم ومريدي الطرق الصوفية وطالبي الفتوى الشرعية، وهذا ما يتجلى في نوعية التربية الدينية والأخلاقية التي كانت سائدة في تلك الفترة ، ومن خلال الإنتاج العلمي الوافر لعلماء المنطقة في شتى ميادين الثقافة الإسلامية، حتى من حيث الحركة التجارية والتي ساهمت في جلب الكثير من أهل العلم وكتبهم وتراثهم المخطوط المتنوع والضخم.

Summary:

The Tjikant tribe was distinguished by its important role in enriching the scientific and cultural life of the metropolis of Tindouf and its surroundings thanks to its scholars and scholars who formed the most important tributaries of the scientific life in the city in the 19 and 20 centuries AD, and the Tikkan tribe played a prominent role in this scientific activity and the prominent cultural movement in this field from scientific contributions, whether by authorship The scribe, fatwa, or other manifestations of scientific and cognitive activity, the Tjikant tribe has contributed to spreading the principles of religion and virtuous morals in Tindouf, which has been known since ancient times as a scientific platform with distinction and as a shrine for scholars, students of knowledge, followers of Sufi orders and seekers of legal fatwa, and this is

reflected in the quality of religious education And the ethics that prevailed in that period, and through the abundant scientific production of scholars of the region in various fields of Islamic culture, even in terms of the commercial movement that contributed to bringing many scholars and their books and their varied and huge manuscript heritage.

مقدمة:

وكغيرها من الحواضر العلمية الجزائرية تميزت حاضرة تيندوف بفضل علمائها الأجلاء في خدمة العلم والمعرفة الانسانية تأليفا ونساخة وشرحا من خلال الكثير من الآثار العلمية التي خلدت اسم المدينة عاليا وأعطت الصبغة العلمية والتراثية التي تليق بها.

فنجد على سبيل المثال العديد من الوثائق المحلية والمخطوطات القيمة التي رسمت المادة العلمية الغثة والدسمة والتي تعد من أهم المصادر التاريخية المهمة نحو كتاب تاريخ المدينة وساهمت بشكل كبير وجلي في معالجة الكثير من القضايا المتنوعة في مختلف مناحي الحياة كالقضاء والسياسة والمعاملات الاقتصادية والفتاوى والنوازل الفقهية من خلال ما تركه علماء وفقهاء المدينة الذين ذاع صيتهم وانتشرت علومهم بين أصقاع المعمورة.

وسوف نتطرق في هذه الورقة العلمية الى أهم علماء القبيلة بحاضرة تيندوف والذين استطاعوا أن يسهموا بعلمهم في اثراء المعرف الانسانية وتوثيق العلوم والمعارف من أمثال العلامة محمد المختار بن بلعمش الجكني وابنه أحمد يكن بن محمد المختار والعلامة محمد محمود ابن التلاميذ التركزي والشيخ عمار ولد لعرب الجكني والعلامة الفقيه سيدي محمد بن الصالح بن بارك الله وابنه سيدي أحمد الذين أخذا على عاتقهما توثيق كل صغيرة وكبيرة بالمدينة من خلال ممارسة صناعة التوثيق بالمنطقة خلال القرن 19م ، حيث استطاعا أن يساهما في رصد المادة التاريخية التي ساهمت بشكل كبير في اثراء المعرفة الانسانية من مختلف نواحيها، وغيرهم ممن تفرغوا لهاته المهمة النبيلة ألا وهي نشر العلم وتعليم الناس.

إن هذه الوثائق الأصلية التي تم توظيفها على سبيل المثال لا الحصر في هذه الورقة العلمية محفوظة كلها في خزانة أهل العبد بحي الرماظين بتيندوف كون هذا الخزانة كانت دارا يرتادها العلماء وطلبة العلم وأغلب التجار ولأرباب المال للذين كلنت لهم علاقة طيبة ووطيدة مع تجار المدينة لأهل العبد بن محمد الحرطاني الجكني والتاجر الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي، ولذلك كانت معظمها – الوثائق– تكتب وتنسخ في هذه للدار – وللتي تسمى الدويرية – لأين تتم أغلب صفقات البيع والمقايضة ولإبراء للذمم وغيرها من أصناف المعاملات

التجارية الأخرى([1]).

موقع المدينة وجغرافيتها:

تقع مدينة تيندوف في أقصى الجنوب الغربي الجزائري، على بعد 2000 كلم من الجزائر العاصمة، وتبلغ مساحتها 168000 كلم2، وعدد سكانها حاليا 59000(2) نسمة يحدها من الشمال ولاية بشار ومن الجنوب الشرقي ولاية أدرار، ومن الشمال الغربي المملكة المغربية ومن الجنوب الغربي الصحراء الغربية، وأخيرا من الجهة الجنوبية الجمهورية الإسلامية الموريطانية.

وهي تقع على ارتفاع 400 م عن سطح البحر، وأما موقعها الفلكي فهي تقع على خط عرض 2740.31° شمال خط الإستواء وخط طول 8009.22° غرب خط غرينتش

وقد أكدت المنشورات والدراسات على قدم مدينة تيندوف كما أثبتت أيضا قدم الأبحاث في هذه المدينة. فالدراسات الجيولوجية التي قام بها كلا من ج. بوندون 1934 و إ.جيرمين 1937، وب.جيفين 1937 إلى 1957. استكشفت بدقة أرض مدينة تيندوف([3]).

أهمية الموقع:

ما هي أهمية موقع مدينة تيندوف الاستراتيجي؟ ولماذا تم اختيار هذا الموقع بالذات دون غيره؟

إن الضوابط التي يتم بموجبها اختيار موقع المدينة هي ضوابط واحدة ومتعارف عليها منذ القدم، ونلخصها في ثلاثة شروط أساسية في مقدمتها.:

- وفرة الماء، لأن الماء عنصر أساسي للحياة لا يمكن الاستغناء عنه، ويجب أن يكون متوفرا بالقرب من المدينة.
- ثاني هذه الشروط، تحقيق الحماية والأمن لساكنيها أي يجب أن يكون موقع المدينة مكانا محصنا يصعب اقتحامه بسهولة، كأن يكون في مكان منبسط مفتوح على الفضاء الخارجي بحيث يسهل الاستيلاء عليه.
- وثالث هذه الشروط وفرة الغذاء وتحقيق الاكتفاء الذاتي للسكان والحيوانات على السواء[(4)].

ولذلك فاختيار هذا المكان بالذات ليكون موقعا لتأسيس مدينة تيندوف لم يأت عبطا ولا محل صدفة، وإنما لما يتميز به من خصائص جغرافية نظرا لموقعه الاستراتيجي الذي يجعله إلى حد ما في مأمن من الأعداء

لوقوعه على هضبة مشرفة على ما يحيط بها من فضاء بما في ذلك الوادي، وأخرى طبيعية لما يوفره هذا الموقع من عناصر معيشية وحياتية للسكان، وخاصة توفره على مصادر الماء الذي يعتبر العنصر الأساسي للحياة.

إذ يوجد بمحاذاة الوادي الذي يضمن للسكان مياه الشرب والفلاحة معا وهو ما جعل منه محطة هامة لاستراحة القوافل التجارية العابرة نحو الجنوب الشرقي لأخذ قسطا من الراحة والتزود بالماء بعد قطعها مسافات كبيرة عبر الفيافي القاحلة قبل أن يتحول في مرحلة لاحقة إلى منطقة استقرار من طرف بعض القبائل الذين رأوا فيه مكانا مناسبا للاستقرار والتعمير للخصائص السالفة الذكر.

وهكذا بدأ توافد الناس على المكان إلى أن أصبح آهلا بالسكان خاصة بعد أن ذاع صيت الزاوية التي بناها الشيخ محمد المختار بن بلعمش الجكني والتي أصبحت محل استقطاب وجدب يقصدها طلاب العلم من كل مكان وخاصة من منطقة شنقيط، إلى جانب ذلك فالموقع قادر على توفير الأمن الغذائي لأهل المدينة فضفاف الوادي مكان مناسب لغرس البقول والخضروات وواحات النخيل، مما يؤمن للسكان غذاءهم زيادة على ما سبق ذكره فالموقع في حد ذاته هو ممر للقوافل التجارية.

الأمر الذي سيسمح لأهل المدينة من الاستفادة القصوى من هذا العنصر، وذلك ببيع منتجاتهم وشراء ما يحتاجونه من مواد غذائية وأفرشة وأشياء أخرى في موسم مرور القوافل -كما سيمر معنا لاحقا – دون نسيان الجانب الاجتماعي والثقافي الذي سيجنيه السكان من خلال هذا اللقاء والاحتكاك بالتجار الذين يصاحبون معهم العلماء والأدباء والفقهاء وغيرهم مما يعود عليهم بالفائدة.

ويتوسط مدينة تيندوف العتيقة واد يقسمها إلى قسمين أحدهما في الجنوب، وهو الأقدم على الأرجح([5])، ويقع على ربوة عالية حيث توجد زاوية وقصبة بلعمش، والقسم الثاني وهو الأحدث، على الأرجح يقع إلى الشمال من الوادي محاذيا لواحة النخيل ويعتبر هذا النهر العصب الرئيسي للحياة في المدينة، حيث يوفر لها الماء والكلأ وهما عنصران أساسيان للحياة.

تحتل مدينة تيندوف موقعا جغرافيا ذو ميزة إستراتيجية هامة أهلها لأن تتطور مع مرور الزمن وتعاقب السنين وأن تصبح من أهم المدن الجنوبية الغربية لبلادنا ذلك أنها تتوسط الحمادة الممتدة من عين الصفراء شرقا إلى المحيط غربا ومن منطقة تافيلالت شمالا إلى تومبوكتو جنوبا، الأمر الذي جعل منها محطة تجارية هامة بين هذه الأقاليم الصحراوية ومركز عبور تمر من خلاله مختلف القوافل التجارية ورحلات الحجيج الآتية من الغرب خاصة من إقليم الساقية والزمور ووادي باني في اتجاه منطقة توات([6]).

ومنها نحو المشرق الإسلامي عبر الطريق الصحراوي الذي يمر بالجنوب نحو تونس فطرابلس الغرب وأخيرا مصر، إضافة إلى ذلك فالمدينة عبارة عن همزة وصل بين الشمال والجنوب وعلى الأخص بين الأقاليم الشمالية الغربية للمغرب العربي وبين السودان الغربي وخاصة مدينة تومبوكتو عاصمته التجارية والثقافية التي لا تبعد عنها إلا بحوالي 1300 كلم2 ([7]).

وبالرغم من المسالك الصعبة التي تفتقر إلى الماء والمناخ القاسي الذي لا يساعد على التنقل والترحال في تلك الربوع إلا ليلا ، فإن ذلك كله وقساوة الطبيعة لم يمنعا من الازدهار التجاري ولم تقف أمام تنشيط حركة نقل البضائع من وإلى الجنوب، فقد كان ينقل الذهب وريش النعام والرقيق ومختلف المنتجات الصحراوية نحو سكان الشمال، وفي المقابل تصدر المنتجات الشمالية من ملح وزيت وحبوب ولباس وغيرها من البضائع المختلفة –كما سيأتي معنا لاحقا – بعضها قادم من أوروبا نحو سكان الجنوب.

وكانت مدينة تيندوف بطابعها الجغرافي وبما حباها الله بها من خصائص من وفرة معيشية وحياتية كمحطة للاستراحة في مرحلة أولى لأخذ قسطا من الراحة والتزود بالماء ، بعد قطع لمسافة كبيرة عبر الفيافي القاحلة، ثم شجع في مرحلة ثانية على الاستقرار بها أولا من طرف بعض القبائل، ثم تعميرها وجعلها منطقة حضارية في ما بعد ولا ريب أن الطابع الجغرافي للمدينة ليس العامل الأوحد في نمو هذه المدينة وتطويرها وإنما هنالك عامل آخر لا يقل عن الأول ويتعلق بالتجارة التي كان لها الأثر البالغ في نموها وتطورها لكونها تقع على طرق النقل والتجارة وهو العامل الأهم بالنسبة لمدن الصحراء على خلاف مدن الشمال.

ولذلك فمدينة تيندوف تصنف من ضمن المدن الذاتية كغيرها من المدن الصحراوية الكثيرة التي نمت وتطورت لظروف جغرافية وأخرى تجارية، عكس المدن الأميرية والملكية التي أنشت بأوامرهم([8]) .

يمتد إقليم مدينة تيندوف على هضبة الدرع العليا وهي عبارة عن هضبة مستوية السطح، كبيرة وواسعة جدا، تعرف أيضا باسم هضبة الحمادة تمتد من منطقة عين الصفراء وغرب منطقة أدرار شرقا إلى غاية حوض الساقية الحمراء غربا، ومن منطقة تافيلالت شمالا إلى أقصى ناحية جنوب تيندوف مع الحدود الموريتانية شمالا.

يتميز سطح حمادة مدينة تيندوف بتكونلته الجيولوجية الصلبة للتي تكونت خلال العصر الثللث، حيث تصلبت بفعل وجود طبقة كلسية أو جيرية محصبة (أي كثيرة الحصى)، تتشابه مع حمادة للقين أو الحين (هضبة الأربعاء بالأغواط) ([9]).

تسمية المدينة ودلالاتها:

يشير العديد من الباحثين المؤرخين إلى أن تسمية مدينة تيندوف يرجع في الأصل إلى ما ذكره المؤرخ الكبير أبي عبيد الله البكري (487هـ/ 1094م) حيث يقول:« فتسير في هذا الجبل ثلاث أيام إلى (ما يسمى تندفس) وهي آبار يحتفرها المسافرون فلا تلبث أن تنهار وتندفن »([10]) .

وإذا أردنا تحليل كلام البكري بنوع من المنطق اتضح لنا من خلال هذه التسمية التي ذكرت بتندفس و تندفن – أي هذه الآبار- أنها أصبحت فيما بعد تعرف بتندوف أو تيندوف([11]) بزيادة الياء بعد التاء، واستقر الأمر على ذلك إلا أن البكري لم يشر إلا إلى كونها صحراء بها آبار ماء ولم تكن بها يومها حاضرة مبنية وما يعضد هذا الرأي هو ما ساقه الباحث حماه الله ولد السالم في تعريفه لكلمة إقيدي وهي صحراء بجنوب تيندوف حيث يقول عنها: « إقيدي كلمة صنهاجية معناها : الرمال الدهسة اللينة والتي تحفر فيها الآبار فتنهدم سريعا لهشاشة التربة» ([12]) ويأتي ضبطها هكذا " تِنْدُفْسْ" على سياق أسامي بعض الحواضر الصحروية باللسان الصنهاجي البربري على سبيل المثال: تنفوشاي، تنجوب، تنيقي، تنبكتو... وغيرها من الأسامي بالسان الصنهاجي، وكان هذا رأي الباحث عبد الله حمادي الإدريسي والذي أفادنا عن تاريخ المدينة كونه متخصص في تاريخ الجنوب الغربي الجزائري.

لكن من جهة أخرى أن أصل التسمية يمكن أن يستنبط من مجموعة من الدلالات والاستنتاجات، إذ يمكن أن تكون أصل التسمية مضبوطة هكذا : " تيندوف " بياء بعد التاء على غرار الأسماء البربرية الأخرى "كتيميمون" و" تيموشنت" و" تينيقي" وغيرها من الأسماء البربرية التي تجر الياء بعد الحرف الأول وهذا ما وجدناه صريحا في وثيقة([13]) كتبت بتاريخ 1882م بخط العلامة محمد بن الصالح بن بارك الله الشانعي الجكني، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أصل التسمية تظبط هكذا: " تيندوف" وهو الراجح والله أعلم.

وأما في رحلة وأخبار الشريف أحمد الصقلي التي قصد بها مدينة تينبكتو من بلاد مالي الحالية سنة 925 ه/1519م مر بمدينة تيندوف التي حدثنا عنها صاحب كتاب تاريخ الفتاش حيث يقول:« خرج الشريف الحسني أحمد الملقب بالصقلي – لجره قدميه على الأرض أثناء مشيه – بن عبد الرحمان المتوفى (ببغداد عام 850هـ/1446م) من بلده بغداد بالعراق في شهر محرم 925هـ/ الموافق لشهر جانفي 1519م مهاجرا إلى تينبكتو والتي وصلها يوم عيد الأضحى 10 ذي الحجة من نفس العام 925هـ/ موافق 03 ديسمبر 1519م وبتاريخ وصوله إلى تينبكتو المذكورة وافق مؤلف تاريخ الفتاش القاضي محمود بن المتوكل بن كعت قد شرع في تأليف كتابه الفتاش فحدثه كما حدث غيره بقصة مجيئه إلى تينبكتو من المشرق والحجاز عازما الإقامة بتينبكتو

بعد أن قطع تلك المسافة البعيدة و تجاوز مكناس المغربية مارا بمدينة تيندوف يومها التي وصلها في أواخر أشهر العام نفسه 925هـ/1519م فوجد بها قاضي البلدة القاضي الطاهر البكَّاي، وإمام مسجد البلدة قصي بن سليمان دون أن يشر الصقلي إلى غيره هذه الإشارة أو يعرفنا بهذين العلمين القاضي والإمام ، ولا تعرض أيضا إلى ذكر نسبهما ولا إلى أخبار تيندوف يومها، بل ذكر أنه تحصل من عند أهل البلد مبلغا ماليا قدره ألف دينار يستعين به في طريقه إلى أروان، ثم اتجه بعدها إلى أروان ثم إلى تنبكتو المذكورة"(14) .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن وجود قاضي وإمام البلدة وحصول الصقلي على مبلغ مالي من أهلها إشارة صريحة على كون مدينة تيندوف كانت حاضرة عامرة بكل شواهدها من مساجد ودار قضاء وأسواق وهذا يسوقنا إلى القطع بقدم تاريخ المدينة وتسميتها.

وإلى ذلك يشير الباحث الحسين بن محنض(15) إلى هذا التحليل بقوله :« ويعتقد أن من بين نقاط هذا الطريق المعروفة ببلاد شنقيط الآن: تيندوف، والفرسية، وعين بن تيلي..»، ويذكر موني (Mouni) لطريق تلمدلت(16) أودغست مسارا ينطلق من تلمدلت، ليتجه إلى تيندوف، ومنها إلى بير (بئر) أم لگرين(أمقرين) (17)..، وتصل مسافة هذا الطريق إلى 51 يوما (نحو 1122كلم) من السير لا تجد القوافل أثناءها الماء إلا في اثني عشر موقعا منها، يفصل بين كل موقعين فيها ما بين يومين إلى خمسة أيام من السير، وبعضها لا يوجد به إلا الماء المالح. وتضطر القوافل التي تستخدم هذا الطريق إلى حفر بعض الآبار في أماكن مخصوصة منه بنواحي تيندوف من أجل التزود بالماء، لكن هذه الآبار كما قال البكري الذي سمى منطقتها تندفس : «لا تلبث أن تنهار وتندفن»(18).

كما نجد أن العلامة الكاملي(19) في رحلته إلى المشرق مرورا بتيندوف استقر بها ما يقارب عشر سنوات لما أقفر عائدا من رحلته إلى الهند(20) ،مما يدل على أن كانت حاضرة وعامرة وقتها.

نجد كذلك العلامة الشنقيطي ابن طوير الجنة يشير إلى أنه مر بقبيلة تجكانت بتيندوف وأعطى نوعا من الوصف لقصورها في رحلته المسماة رحلة المنة والمنى. (21)

ويشير إليها العلامة محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي الشنقيطي في رحلته التي حققت الجزء الثاني منها والمسماة الرحلة الحجازية الجزء الخاص بتيندوف ما نصه :" وأتحفنا علبدين(22)بِجَمَلٍ فَحْلٍ خَلُول وحنبل(23)حيد، وزَوَّدنَا فخرجنا منه لثمان ليال بقين مِن جمادى الآخرة من العام السَادس عشر بعد ثلاثمائة وألف، قاصدين تيندوف، فمكثنا دونها اثنتي عشرة ليلة فيها مقام يومين، ودخلناها لأربع ليال خلون من رجب

للفرد، فنزلنا في دار أهل العبد عند عبد اللهِ بن العبد(24) ، فأحسن إلينا أتم إحسان، وأنزلنا في دار واسعة، أدخلنا فيها عيالنا فمكثنا في تيندوف علما وشهرا في بر وإحسان." (25) ، والشاهد هنا قاصدين تيندوف وقد وجدنا بالمخطوط أنها خطت هكذا تندوف بدون ياء وكلاهما صحيح، وإن كان الأقرب للصواب كتابتها تيندوف على نسق بعض الكلمات الصنهاجية مثل تيميمون، تينيقي، تينبكتو... كما أسلفنا من ذي قبل.

وقد أشار البلحث رشيد الحسين في كتابه إلى التعريف بكلمة تيندوف حين اعتبرها كلمة أمازيغية فعرفها بقوله: تيندوف= تين + ضوف وتعني ذات الحراسة، أو مكان الحراسة(26).

وهذا التعريف يجرنا إلى الربط بينه وبين الدور الذي كانت تلعبه تيندوف خلال القرنين 19 و20 في حماية القوافل التجارية، وتوفير الأمن والاستقرار لها من خلال فرض نظام المداراة والمكوس والجبليات الشرعية مثلما كانت تعمل بعض القبائل الصحراوية الأخرى سواء في مجيئها أو ذهابا نحو السودان الغربي أو باتجاه الشمال المغربي كالصويرة وغيرها .

بعد التطرق إلى موقع المدينة وتسميتها لا بد من ذكر حملة المنصور الذهبي نحو تينبكتو والتي سلك فيها الطريق الذي يمر بتيندوف واختاره عن مسلك الذي يمر بتوات لعدة اعتبارات أهمها أنه كان يرمي مسبقا إلى محاولة الدخول إلى توات ووقعت إثرها مجموعة من النزاعات بين سكان توات وأهلها وبين أحمد المنصور الذهبي(27)، بالإضافة إلى سهولة المسلك الذي يمر بتيندوف، توفر الماء والكلأ، إضافة إلى تواجد الأمن والإستقرار أثناء عبور القوافل، كلها هذه الاعتبارات كانت داعيا لهذا القائد في سلك هذا الطريق نحو تينبكتو.

وسوف نستعرض مجريات الحملة انطلاقا من المغرب ومرورا بتيندوف في عجالة من أجل إظهار الأهمية التاريخية للمدينة خلال القرن 16م في كونها كانت محطة ونقطة عبور للقوافل التجارية والحملات العسكرية نحو السودان الغربي وإفريقيا الوسطى.

- تيندوف من خلال حملة أحمد المنصور الذهبي على تينبكتو:

أعد أحمد المنصور الذهبي حملة عسكرية ووفر لها ما يلزم من الإبل والخيول، والبغال، والمدافع، والبارود، والبنادق، والمهارس، وخشب المراكب، والعربات، والمقاديف، والحديد، براميل المياه، وجند 5000 من الخيالة، و2000 من المشاة، و1500 من الرماة، و2000 من جنود المدفعية والبحرية، و100 أبال و8000 جمل، و1000 حصان، وأسند قيادة الحملة إلى قودار (جؤذر) باشا الإسباني الأصل من لاس كويفاس

(LAS CUEVEAS) بضواحي غرناطة وعززه بعشرة من كبار القادة أمثال/ مصطفى التركي، ومصطفى بن عسكر، والقائد عمار، وأحمد بن يوسف القلعي، وعلي بن مصطفى العلجي.

وتم استعراض الجيش يوم 16 ذو الحجة عام 998 ه (1590م) ، وغادر مراكش يوم أول محرم 999هـ، الموافق ليوم 16أكتوبر 1590م، وعبر وادي درعة أين تزود بالمياه، والقمح، والشعير، ودقيق الثمر، ومر على تيندوف، وتغازة، وتاودني، وكلبارا.. وبذلك يكون قد نجح في حملته على تينبكتو بحيث أزاح أسكيا الحاج محمد، وألَمَّن تدفق للذهب إلى المغرب الأقصى عبر مسلك عسكري يربط بين تينبكتو ومراكش مرورا بتيندوف (28)

المساهمات العلمية والأدبية لعلماء تيندوف

لقد أنتج علماء وفقهاء وأدباء تجكانت العديد من التآليف والكتب وألفوا في مختلف القضايا العلمية والتاريخية والأدبية، وهذه مخطوطاتهم ووثائقهم ومراسلاتهم وفتاويهم تملأ الخزائن والمكتبات وتتحدث عن ذلك فلقد خلفوا وراءهم ما يناهز المئات من التآليف والوثائق المهمة والنفيسة .

- محمد المختار بن بلعمش الجكني مؤسس مدينة تيندوف

ذكره المختار السوسي في المعسول والمؤرخ إبراهيم حركات في كتابه حياة موريتانيا وبعض ما أورده عنه كذلك الشيخ أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي(29) في كتابه منح الرب الغفور ولنستعرض ذلك تباعا كما يلي:

يقول محمد المختار السوسي:" كان عالما جليلا دوي صيته في كل الجهات وهو فريد في العلوم وفي القراءات فإليه يُسار في حل المعضلات والمشكلات، وقد تعلم على يد والده وعلى يد غيره من العلماء – شمامة – ثم نزل بالشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي فلازمه حتى صار بحرا عظيما في كل ناحية من نواحي حياته ويقولون أنه لم يبطئ عنده ".

" وقد استخدمه الشيخ في نساخة كتاب ففتح عليه في حين ودعا له فذهب إلى أخواله تجكانت ..... وكانت له مؤلفات منها مؤلف عندي وهي رسالة صغيرة وله غيرها وكان صالحا مكرما خصوصا لآل البيت..، توفي 1285هـ ودفن في تندوف في مشهد عليه قبة – بناها الشريف مولاي علي بن التهامي من تلاميذه وهو صهره على بنت من بناته- ولم يكن من عادة العرب في كل الصحراء بناء القباب إلا أن تندوف تأثرت بما يجاورها من المغاربة الذين أَلِفُ وا هذه البدعة التي نهى عنها الشارع-كما قال سيداتي-)) (30).

وعنه قال الشيخ أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي[31] في كتابه منح الرب الغفور في باب ذكر وقائع عام 1287هـ/1870م ما نصه:

"وفيه[32] توفي العالم الفقيه محمد المختار بن ابن الأعمش الجكني، كان رحمه الله تعالى فاضلا نجيبا رئيسا نبيلا نبيها وجيها كبير الشأن رفيع الدرجة عالي الهمة حسن الخلق والخلق فقيها نحويا لغويا جعله الله إماما يقتدى به في العلم والدين ومهمات الدنيا اجتمعت فيه أمور العلم والقضاء والعدل والرياسة.وكان من العلماء العاملين قائما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر,وانتفع به كثير من تجكانت وغيرهم ".

- مؤلفاته وتصانيفه

- معرفة المباني لصحة المعاني والإعلنة للمقصر للعاني." عنوان الكتاب للذي هو: معرفة المباني لصحة المعاني والإعلنة للمقصر للعاني وقد ألفه صاحبه عام 1271هـ الموافق ل 1854م؛ يفصح عن مغزاه ومحتواه للعام، فهو واضح الدلالة على أن هذا المؤلَّف خاص بتبيين ما يختلط على العلمة في علم القراءات والتفريق بين التجويد الظاهر والباطني.

فبدأ الفقيه (رحمه الله) كتابه بمقدمة في فضل الذكر ثم عدد فضائله مرفوعا وبعدها ذكر فيه بابان، الباب الأول في تجويد القرآن الظاهر في مخارج الحروف، والباب الثاني في التجويد الباطن في السنن المألوف أي القراءة بالتدبر، وخاتمة في حكم الحزب المألوف ليثبت من ذلك ما يثلج به صدر العروف ويثبت به قدم ذي الزلل المتلوف.

حيث فصل في المقدمة بالذكر وأتى بكل ما يتعلق بها من آيات كريمة وأحاديث شريفة وآثار مفيدة وكيف يكون الإنسان ذاكرا.

لينتقل بعدها إلى الجواب عن السؤال الأول الذي يوضح من خلاله التعريف بالتجويد الظاهر ويعني به تبيين مخارج الحروف وكل ما يتعلق بها من أحكام وما يشكلها من استفهام...الخ.

أما الباب الثاني فيعرف فيه التجويد الباطني والذي يعني به تدبر آيات الذكر الحكيم وكيف يمكن للذاكر أن يوفق ما بين التجويد والتدبر في آن واحد، ومتى يكون الإنسان آثما وهو يتلوا كتاب ربه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لينتقل في الأخير إلى الخاتمة والذي يبين فيها رأي الشرع في حكم الحزب الراتب حيث يقول (رحمه الله): الخاتمة الموعود بها في حكم الحزب الراتب من الجماعة لها، أقول فيه والله المستعان وعليه التكلان أن ما يفهم من كلامهم الندب لا غير في هذا الزمان للحزب الراتب من القرآن وقد أتى بأدلة ذلك من كلام العلماء.

- نصيحة قضاة البرية في منع الرشوة والهدية: عنوان الكتاب الذي هو: نصيحة قضاة البرية في منع الرشوة والهدية وقد ألفه صاحبه عام 1242هـ الموافق ل 1827م ؛ يفصح عن مغزاه ومحتواه للعام، فهو واضح الدلالة على أن هذا المؤلَّف خاص بتبيين حكم الدين في منع الرشوة والهدية .

فبدأ الفقيه – رحمه الله –كتابه بمقدمة أشار فيها إلى أبوابه وما حوت فيقول: الباب الأول الذي هو كالمهاد لما بعده من الأبواب في التقوى والرشاد، والثاني في تحريم الرشى وفيما اشتمل عليه من الفوائد كالتاج الموشي، والثالث في تحريم الهدية على جميع قضاة البرية وما ور د فيها من علماء الحنفية.

حيث فصل في التعريف بالتقوى وأتى بكل ما يتعلق بها من آيات كريمة وأحاديث شريفة وآثار مفيدة وكيف تحصل للإنسان وكيف تعينه على تجنب ما حرم الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ .

لينتقل بعدها إلى الجواب عن السؤال الثاني الذي يوضح من خلاله تحريم الرشى وما اشتمل عليه من الفوائد كالتاج الموشي.حيث يقول:" وبالله استعنت وعلى فيض مواهبه اعتمدت، اعلم أخي رحمك الله أن الرشوة ممنوعة كتابا وسنة وإجماعا.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[33] يدخل فيه القمار والغصب والتعدي والرشوة وغير ذلك...

لينتقل في الأخير إلى تحريم الهدية على جميع قضاة البرية وما ور د فيها من علماء ديننا الحنيف .

- شفاء الصدور في فتح مسألتي المشكور: عنوان الكتاب للذي هو: شفاء الصدور في فتح مسألتي المشكور؛ وقد ألفه صاحبه عام 1262هـ الموافق ل 1846م، يفصح عن مغزاه ومحتواه للعام، فهو واضح الدلالة على أن هذا المؤلَّف خاص بفضل الصلاة على سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ وأجرها والفائدة المرجوة منها.

فبدأ الفقيه – رحمه الله –كتابه بمقدمة أشار فيها إلى ضرورة تلبية نداء العلم والتعليم ثم ذكر فضل النبي على أمته وكيف أن النبي ﷺ هو سبب نجاتنا من خسة الكفر وحيازتنا لشرف الإيمان الموجب لسعادتنا الأبدية بحول الله تعالى وقوته.

ثم أشار إلى محتوى السؤالين الواردين في النص، ليتجه بعد ذلك إلى نص الجواب عن السؤال الأول مستعينا في إجابته على ذكر بعض أقوال العلماء المتصوفة من مثل محمد بن عباد ﷺ وقد أتى بنص طويل من كلامه في حسن التأدب مع الله عز وجل في العطاء والمنع.

لينتقل بعدها إلى الجواب عن السؤال الثاني الذي يوضح من خلاله فائدة الصلاة على النبي ﷺ واستعان ببعض نصوص الفقهاء من أمثال أئمة التفسير كالإمام القرطبي والبغوي وأبو القاسم القشيري وغيرهم من علماء الفقه المالكي كالسنوسي والقاضي أبو بكر بن العربي والإمام الكنتي – رحمهم الله ورضي عنهم – ولم يقتصر على ذكر علماء المالكية فقط بل أشار إلى علماء الشافعية والحنفية كالإمام الشافعي وأبو العباس المبرد والإمام النووي وغيرهم من أئمة الإسلام جزاهم الله كل خير عن الإسلام والمسلمين.

- النوازل البلعمشية: وهي من أهم تصانيف وتآليف العلامة محمد المختار بن بلعمش وتعتبر النوازل في حكم المفقود إلى غاية الآن إلا أن هناك اشارات تفيد بأن النوازل قيد التحقيق الآن بالبلاد الأوروبية من طرف أحد الباحثين ، ناهيك عن منسوخاته الكثيرة من كتب وتآليف علماء السلف والتي لا زال الكثير منها في حكم المفقود والتي تحتاج الى الكثير من الجهد لترى النور من جديد.
  - أحمد يكن بن محمد المختار الجكني

هو العلام أحمد يكن بن محمد المختار بن بلعمش الجكني الموساني فقيه مالكي من آل تجكانت أخذ عن أبيه محمد المختار بن الأعمش العلم وعلوم الحديث والفقه، كما أخذ عن بعض العلماء الذين كانوا يمرون للحج منهم العلامة محمد محمود التركزي مصحح القاموس المحيط والعلامة محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي صاحب الرحلة الحجازية، كان مجتهدا وعالما مشاركا في العربية والفرائض والتاريخ، ترك العلامة أحمد يكن الكثير من التقاييد والطرر والمنسوخات بخزانة أبيه محفوظة إلى زماننا هذا، ت:1318هـ[34] .

- تقاييده وطرره ومنسوخاته: ترك العلامة أحمد يكن الكثير من التقاييد والطرر والمنسوخات ولعل أهمها:

- أسئلة نوازل العلامة محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي الشنقيطي:

من خلال الرحلة الحجازية الجزء الذي مر من خلاله الفقيه الولاتي بتندوف والتقى فيها بالفقيه أحمد يكن بن محمد المختار رحمهما الله، تطارح معه ستة أسئلة تتعلق بزواج العبد بأربع نسوة وصدقةمن لحاطـللدَّيْنَ بمالله، و سؤاله حول علم الكلام، تعريفه وموضوعه وواضعيه، وسؤالهكذلكعن حد علم الفلسفة وموضوعها وواضعيها وحكمها في الشرع العزيز، وعن بيع سكك الفضة بالتفاضل وما ينجر عنهامن أحكام شرعية، وأخيرا شرح بيتي ابن عاشر في الحكم الشرعي.

حيث يشيرفي أول رحلته إلى ما نصه:" وَأَتحَفَنَا عَابِدِين[35] بِجَمَلٍ فَحْلٍ ذَلُولٍ وحَنْبَلٍ[36] جَيِّدٍ، وَزَوَّدَنَا فَخَرَجْنَا مِنْهُ لِثَمَانِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِن جُمَادَى الآخِرةَ مِنَ للعَامِ السَادِسِ عَشَر بَعْدَ ثَلاَثِمَائَةٍ وأَلْفٍ، قَاصِدِينَ تِندُوفَ، فَمَكَثْنَا دُونَها اثنَتَي عَشَرَةَ لَيْلَةٍ فِيْهَا مُقَامَ يَوْمَين، ودَخَلْنَاهَا لأِرْبَعِ لَيَالٍ خَلَونَ مِن رَجَبٍ للفَرْدِ، فَنَزَلْنَا في دَارِ أَهْلِ العَبْدِ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ العَبْد[37]، فَأَحْسَنَ إِلَيْنَا أَتَمَّ إحْسَانٍ، وأَنْزَلَنَا في دَارٍ وَاسِعَةٍ، أَدْخَلْنَا فِيْهَا عِيَالَنَا فَمَكَثْنَا في تِندُوفَ عَامًا وَشَهْرًا في بِرٍّ وإحْسَانٍ.

وفي مُدَّتِنَا في تِنْدُ وفَ سَأَلَنَا الفَقِيهُ أَحْمَدُ يَكُن[38] بْنُ مُحَمَّدٍ المُخْتَارِ بْنِ بَلَّعْمَش عَنْ مَسْأَلَتَيْن.

- طرر على موطأ الامام مالك.
- ميزان الشرع : وقد جاء في آخره ما نصه: " وكان الفراغ من تسويده على يد كاتبه عبيد ربه وأسير ذنبه أحمد يڤن بن محمد المختار بن باللعمش لطف الله بهم والمسلمين آمين لثالث الأضحى يوم الثلاثاء عام 1286هـ 13 ذي الحجة .. وأردف كلامه الطويل بهذين البيتين:

أتممت نصب ميزان الشرع ب.. بحمد ربي على الاتمام للوطر

وأسأل الله من أمداد رحمته تحقيق مشربه من ورده العطر

  - منسوخاته
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
- ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي.
- تلخيص الشرح الكبير المشتمل على الفقه المنقول الغزير
- اختصار ما وقع عليه الاختيار فيما تضمنه شرح ميارة على منظومة علي الزقاق في أحكام القضاء.
- ايضاح السر المصون في شرح فرائض ابن ميمون لعلي ابن محمد الرسموكي.
- شرح العلامة زروق على رسالة ابن أبي زيد القيرواني سنة 1292هـ/1875م.

- الجزء الأخير من كتاب مواهب الجليل شرح خليل للحطاب سنة 1299هـ/1881م.
- الجزء الثامن من كتاب العلامة عبد الوهاب الشعراني سنة 1286هـ/1869م.
- ورقات الرشاد إلى سبيل التقى والسداد للإمام عبد الله بن صالح سنة 1317هـ/1899م.
- السفر الأول من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للعلامة ابن جزي المالكي سنة 1291هـ/1874م.

  - الشيخ الشاعر عمار ولد لعرب الجكني:

الشاعر عمار ولد لعرب المسعودي الجكني(39) وضع ديوانا وسماه ديوان حسان، وقد نظمه باللهجة الحسانية(40) وهي لهجة أهل المدينة وعموم افريقيا الغربية، تطرق فيه إلى الحياة الاجتماعية والتاريخية والأدبية للقبيلة (41) في النصف الثاني من القرن 19م.

- ديوان حسان:

الشاعر عمار ولد لعرب المسعودي الجكني(42) وضع ديوانا وسماه ديوان حسان، وقد نظمه باللهجة الحسانية وهي لهجة أهل المدينة وعموم افريقيا الغربية، تطرق فيه إلى الحياة الاجتماعية والتاريخية والأدبية للقبيلة (43) في النصف الثاني من القرن 19م.

وقد لاقى رواجا كبيرا وهو الآن تحت أيدي التحقيق ويعتبر مرجعا دقيقا من المراجع التي تطرقت إلى تيندوف في منتصف القرن 19 م ، وقد تطرق الشاعر الى كل ما يتعلق بالحياة الأدبية والاجتماعية في نظمه المسمى " ديوان حسان في لسانهم وألسنة الأعاجم والسودان".

وقد ألفه صاحبه ونسخه وسنه لم يتجاوز 32 سنة بتاريخ 29 جمادى الأولى عام 1303هـ الموافقـ: 4 مارس 1886 م ، وبذلك تكون سنة تأليفه هي سنة نسخه ، والمخطوطة التي بين أيدينا مخطوطة أصلية وحيدة بالعالم ، لها من الأهمية الأدبية والفنية ما يجعلها تتنافس والدواوين الأخرى في هذا الفن.

ويعتبر هذا المخطوط من أهم ما ترك لنا الشيخ الشاعر عمار ولد لعرب الجكني وهو الآن قيد التحقيق كما أسلفنا، وسوف يكون بإذن الله أول تحقيق علمي له حيث أنه لم يعرف التحقيق من قبل وكونه مخطوط نادر وفريد في فنه ما سيجعله يضفي نوعا من الجدة في المجال الأدبي الشعري ، نظمه صاحبها في 81 ورقة أي 126 صفحة بحوالي 14 سطرا بكل صفحة، ومقاسها 18 سم * 24 سم.

بدايته : الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم...

نهايته: وكان الفراغ منه في سبع سوائع عند انتهائهم ليلة السبت وهي تسعة وعشرون مضت من شهر الله جمادى الأولى عام 1303 اعبيد ربه عمر بن الأعرب بن مولود بن محمد الحرطان ابن سيد الطاهر بن ببكر الجكني الرمضاني المسعودي التيندوفي التيجاني كان له له ولوالديه وليا ونصيرا وصل الله على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا ووسيلتنا إلى ربنا محمد ﷺ تسليما والحمد لله رب العالمين.

صناعة التوثيق

لقد برز في علم صناعة الوثيقة بحاضرة تيندوف مجموعة من العلماء والمشائخ رسموا من خلال توثيقهم الاطار التاريخي والثقافي والاقتصادي للمدينة من خلال توثيق كل الوقائع والأحداث المختلفة التي كان مسرحها تلك المدينة الطيبة الموغل في أعماق الصحراء الجزائرية تيندوف المنارة والرباط.

وقد نتج عنها رصيد وثائقي مهم مثل ولا يزال يمثل مادة دسمة اتاحت لنا كتابة تاريخ المدينة الاقتصادي والثقافي ولا يزال غنيا بالكثير من المعطيات العلمية المهمة.

والكثير من هذه الوثائق المحلية للأسر الجكنية بتيندوف محفوظة بإحدى أهم وأضخم الخزائن المتواجدة بالمدينة والتي تعتبر محطة التقاء التجار والعلماء وغيرهم لكونها كانت داراكبيرة يقصدها الجميع من تجار وعلماء وطلبة للعلم وعابري السبيل وأصحاب الحاجة والفقراء والرحالة وغيرهم من أصناف الناس.

وتحوي هذه الخزانة العديد من الوثائق والمخطوطات التي تفوق وتناهز المئات وبالتقريب تصل إلى 600 وثيقة ومخطوط متعددة المواضيع، وإن كانت كلها أو أغلبها يصب في العلاقات التجارية بين حاضرة تيندوف وحواضر السودان الغربي والمغرب الأقصى .

هذه الوثائق السالفة الذكر تتمثل في عقود البيع، والمقايضة والشراء وعقود الدين وإبراء الذمم، والمراسلات الاخوانية، ووثائق التوكيل، ومراسلات استطلاع أحوال الأسواق، واستخبار أحوال السلع، والنوازل الفقهية في مواضيع التجارة وغيرها، وطلب إفاد معلمي القرآن، وعقود تجارية منوعة مبرومة مع اليهود خاصة .. وغيرها من المواضيع والدلائل التاريخية الأخرى التي ترسم الإطار التاريخي والعلمي والمنهجي للبحث.

وسوف نستطلع أهمية التوثيق في اثراء المعرفة الانسانية من خلال ذكر بعض نماذج العلماء الذين كان لهم الفضل في رسم هذه المادة العلمية النفيسة.

- العلامة محمد بن الصالح بن بريك الله الشانعي الجكني

هو العلامة محمد بن الصالح بن بارك الله بن الشانع بن حبيب بن بارك الله الجكني التيندوفي ولد في حدود عام 1820م كان عالما جليلا محترما في قومه، عرف بجمال ورفعة خطه ، له تآليف عديدة منها ماهو في حكم المفقود، ومنها مجموعة من الوثائق المحلية لابأس بها محفوظة في خزانة أسرة أهل العبد الجكنية، تحكي الوقائع الاجتماعية والعليمة والثقافية التي كانت سائدة في تيندوف آنذاك[44].

والواضح مما وجدناه من الوثائق المحلية[45] المحفوظة بخزانة أهل العبد الجكنية بتندوف كما هو منصوص عليه في الوثيقة التالية أنه كان الكاتب الوحيد والمميز في كتابة عقود البيع والدين والوكالات والمراسلات الإخوانية وعقود الصلح وغيرها من الوثائق الأخرى، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا العلامة كان موسوعي الفكر واسع الدارية، كثير العلم.

اعتمد العلامة في نساخة وكتابة الوثائق المحلية على الخط الصحراوي التيندوفي كما هو معروف في غرب الجزائر وكان هذا الخط ممزوج ما بين المغربي المبسوط والمغربي المجوهر، فنجد بعض الوثائق غاية في دقة الخط وجماله وإبداعه، بحيث تسهل عليك عملية القراءة وفرز الحروف، ومعرفة محتوى النص، وقراءة بيانات الوثيقة كاملة، ومما يسهل عليك كذلك تحليلها واستخراج مضمونها، فلا تجد فيها تعقيدا ولا صعوبة.

الوثيقة رقم 01 بخط العلامة محمد بن الصالح بن بريك الله الشانعي الجكني

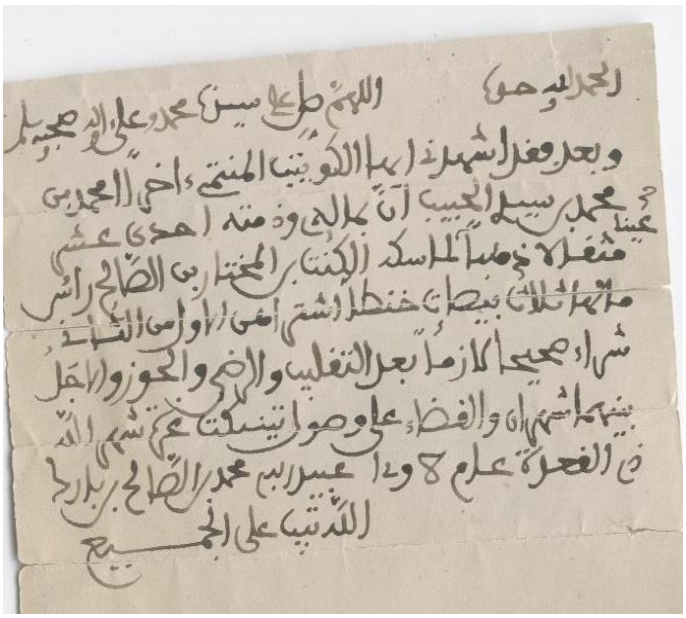

نص الوثيقة

« الحمد لله اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد فقد أشهدني أيها الكويتب [46] المنتمي آخرا امحمد بن محمد بن سيدي الحبيب أن بماله وذمته احدى عشر مثقالا ذهبا عينا [47] لماسكه الكنت [48] بن المختار بن لصالح رأس مالها ثلاث بيصات [49] خنطا [50] اشتراهن الأول من الثاني شراء صحيحا لازما بعد التقليب والرضى والحوز والأجل بينهما شهران والقضاء على وصول تينبكت[51] غرة شهر الله ذي القعدة عام 1298[52] (هـ) عبيد ربه محمد بن الصالح بن بارك الله.

تيب على الجميع».

التحليل:

الوثيقة عبارة عن عقد بيع بالدين على ذمة المعلم علي بتاريخ 1298هـ/1881م بين التاجر الكبير الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي امحمد بن محمد بن سيدي الحبيب في مجموعة من السلع قيمتها الإجمالية 11 مثقالا ذهب عينا رأس مالها: السكر والخنط الأبيض ، والواضح من الوثيقة أن السلعة هذه المرة هي الخنط بأنواعه.

عناصر الوثيقة:

البائع: الكنتي بن المختار بن الصالح.

الشاري : امحمد بن محمد بن سيدي الحبيب.

السلعة: 3 بيصات خنطا.

الثمن: 11 مثقال ذهب عينا.

الصيغة: الحوز والرضى.

مدة القضاء: شهران.

تاريخ عقد البيع بالدين: غرة شهر الله ذي القعدة عام 1298هـ.

مكان قضاء الدين: تينبكتو.

اسم ناسخ العقد: محمد بن الصالح بن بارك الله.

الوثيقة الثانية:بتاريخ 1298هـ/1881م

تبرز جمالية الخط المغربي للعلامة محمد بن الصالح بن بارك الله الشانعي الجكني ، والوثيقة عقد بيع بالدين على ذمة المعلم علي للتاجر الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي الجكني

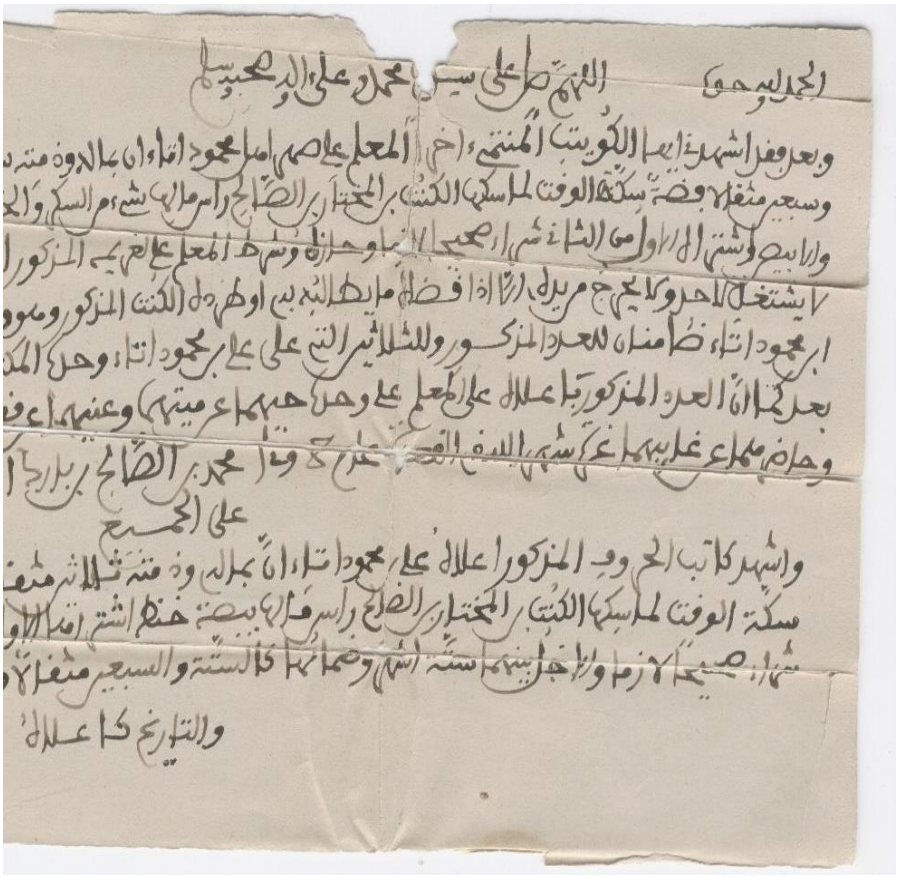

نص الوثيقة

" الحمد لله وحده

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعد فقد أشهدني أيها الكويتب المنتمي آخرا المعلم علي صهر ءآل محمود أتاد أن بماله وذمته سبعة وسبعين مثقالا فضة سكة الوقت لماسكه الكنتي بن المختار بن الصالح رأس مالها شيء من السكر والخنط الأبيض اشتراه الأول من الثاني شراء صحيحا لازما وحازه وشرط المعلم علي لغريمه المذكور ألا يشتغل لأحد ولا يخرج من يده إلا إذا قضاه ما يطالبه به أو طرده الكنتي المذكور وهو ابن محمود أتاد ضامنان للعدد المذكور وللثلاثين التي على علي بن محمود أتاد وحده المكرر بعد كما أن العدد المذكور بأعلاه على المعلم علي وحده حيهما عن ميتهما وغنيهما عن فقيرهما وحاضرهما عن غائبهما غرة شهر الله ذي القعدة عام 1298 محمد بن الصالح بن بارك الله تيب على الجميع.

وأشهد كاتب الحروف المذكور أعلاه علي بن محمود أتاد أن بماله وذمته ثلاثين مثقال سكة الوقت لماسكها الكنتي بن المختار بن الصالح رأس مالها بيصة خنط اشتراها الأول من الثاني شراء صحيحا لازما والأجل

بينهما ستة أشهر وضمانهما كالستة والسبعين مثقالا والتاريخ كأعلاه "

التحليل:

الوثيقة عبارة عن عقدين بيع بالدين في عقد واحد على ذمة المعلم علي بتاريخ 1298هـ/1881م بين التاجر الكبير الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي والمعلم علي صهر ال محمود في مجموعة من السلع قيمتها الإجمالية 77 مثقالا فضة رأس مالها السلع الآتية: السكر والخنط الأبيض ، والواضح من الوثيقة أن العقد تضمن شرط وهو أن لا يعمل المعلم البناء لأحد سوى التاجر الكنتي وأن لفسخ العقد غلا بعد تمام المهمة وإلا كان الطرد حليفه.

عناصر الوثيقة:

البائع: الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي.

الشاري : المعلم علي صهر ال محمود أتاد.

السلعة: السلاح السكر والخنط الأبيض.

الثمن: 77 مثقالا فضة و 30 مثقال سكة الوقت.

مدة القضاء: 6 أشهر

تاريخ عقد البيع: غرة شهر الله ذي القعدة عام 1298هـ

مكان قضاء الدين: غير وارد.

اسم ناسخ العقد: محمد بن الصالح بن بارك الله .

- العلامة سيدي أحمد بن محمد بن الصالح بن بريك الله الشانعي الجكني/

وهو العلامة الفقيه سيدي أحمد بن محمد بن الصالح بن بريك الله الشانعي الجكني(ت: 1858م/1953)، كان عالما حافظا محدثا مفتيا ، ذاع صيته في الكثير من الأمصار وقصده الناس في طلب الفتيا من كل حدب وصوب، وقد عرفت فتاويه بالسلاسة واليسر لأنه كان يعمل العقل في استنباط ما استشكل على علماء عصره من الأحكام والمسائل العويصة بفضل حكمته وفطنته العالية.

وقد ألف العديد من الكتب والرسائل ولكنها كلها في حكم المفقود ولم نعثر إلا على مراسلاته مع علماء عصره وفتاويه وبعض العقود ووثائق البيع والشراء والأحكام الفقهية التي كتبها بخط يده.

ويعتبر العلامة من أهم النساخ والوراقين الذين كان يعتمد عليهم في نساخة المخطوطات التي كانت تأتي مع تجارة القوافل الصحراوية سواء من السودان الغربي من أسواق تمبكتو وتودني أو من ولاتة وشنقيط بموريتانيا أو من حواضر المغرب الأقصى كفاس ومراكش وباقي المدن العلمية الأخرى.

ولقد ساهم العلامة سيدي أحمد في بعث الحركية العلمية بالمدينة في القرنين 19و20 ميلاديين بفض صبره على تحمل مشاق ومتاعب النساخة حيث كان ينسخ المخطوطة أحيانا في ليلة واحدة لتبقى منها نسخة بحاضرة تندوف وتنتقل بعدها شاقة طريق القوافل الصحراوية إلى حيث طلبت وأراد بها صاحبها.

وثيقة للعلامة سيدي أحمد بن الصالح بن بارك الله الشانعي الجكني

وقد بين من خلالها شجرة نسب قبيلة تجكانت بتيندوف.

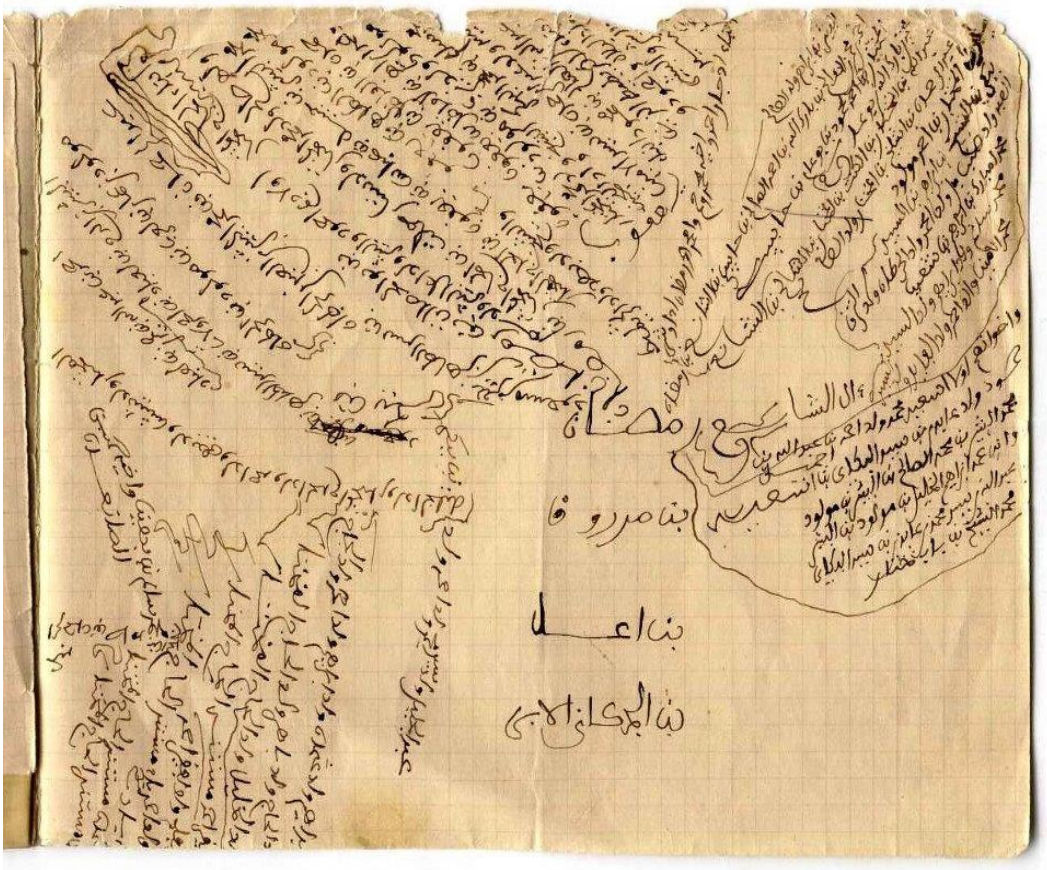

(1) للمزيد راجع: تيندوف خلال القرنين 19و20 م مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والثقافي والاقتصادي من خلال الوثائق المحلية، بريك الله حبيب، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص: 19.

(2) وهذه حصيلة الإحصاء الأخير لعام 2008 حيث أنني كنت مراقب ضمن مصالح الإحصاء أثناء سير العلمية.

(3) للمزيد من التفصيل راجع: عبد الحق معزوز، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تيندوف، ص:17.

(4) نفس المصدر السابق، ص:18.

(5) للمزيد من التفصيل راجع: عبد الحق معزوز، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تيندوف، ص:19.

(6) وهو الاسم القديم لأدرار.

(7) le Capitane DUBIEF et (J) CAUNEILLE, les , la nomades Regueibat, . , travaux de F. DE LA CHAPPELE, ؛ كذاك وانظر institut recherches saharienne , t. VI 1950, P. 85. Esquise D 'une histoire du sahara occidental ' Hesperis t . XI (1930) P.74.

(8) عن هذا التقسيم انظر المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية– دراسة نقدية معاصرة– لعبد الجبار ناجي مجلة المورد، مجلد 9 ، عدد 1980، 4م 147.

(9) Jean BisonK, la nomadisation es Regueibat L Gouacem. T.I.R.S, , t..xx, 1er et 2eme– 3 semestre 1961, p.214.

(10) انظر: أبي عبيد الله البكري، المسالك والممالك الجزء الخاص ببلاد المغرب، ص: 279.

(11) Mahmoud Kati ben El Hadi Motaouakkel Kati l'un de ses petits fils.Tarik El Fattach ou (chronique du chercheur) . pp 15–37.op.cit.

.Odette Du Puigaudeau. Le Passé maghrébin de la Mauritanie. P 46 . op . cit

(12) حماه ولد السالم، المجتمع الأهلي الموريتاني مدن القوافل، (1591م–1898م) ، ص: 165.

(13) انظر الوثيقة في ملحق وثائق أسرة أهل بارك الله الجكنية تحت رقم: ب/08.

(14) Mahmoud Kati ben El Hadi Motaouakkel Kati l'un de ses petits fils.Tarik El Fattach (ou chronique du chercheur) . pp 15–37.op.cit..

(15) انظر: الحسين بن محنض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، من ما قبل التاريخ إلى الانتشار الحساني في بلاد شنقيط (125000 ق.م– 1645م /1055هـ)، ص:97.

(16) **تامدلت:** يذكر البكري أنها مدينة سهلية من تأسيس عبد الله ابن إدريس،أنظر: البكري، المغرب في ذكر المغرب، ص: 163.

(17) احدى مناطق موريتانيا.

(18) انظر: الحسين بن محنض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، ص: 97–98.

(19) انظر: المراكشي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات، ص:20

(20) انظر: عبد الله حمادي الإدريسي، تيندوف وتجكانت، (تاريخا ومناقب وبطولات)، ج:1، ص: 209

(21) انظر: ابن طوير الجنة، مخطوط: رحلة المنة والمنى ، ص: 98.

(22) ذُكر في الجزء الأول من الرحلة الحجازية الذي حققه محمد حجي أثناء خروج المؤلف من شنقيط إلى اكْليميم، وأضاف الوَلاتِي أنه نزل بقرية اكْليميم عند أميرها الشيخ دحمان بن بيروك وذكر أنه اجتمع بالشيخ عابدين بن بيروك ولعلهما أخوة نسب. انظر: محمد يحيى الولاتي، الرحلة الحجازية للوَلاتِي، تحقيق محمد حجي. ص403.

(23) هو فراش من الحرير للمناسبات، وفي العادة يكون كبير الحجم، كما صرح به أحد أعيان المدينة.

(24) أسرة كانت تعرف بكرمها وحسن ضيافتها في تندوف، المعسول:529/8. وللمزيد من التفصيل انظر الفصل الأول من الدراسة.

(25) انظر: محمد يحيى الولاتي، الرحلة الحجازية الجزء الخاص بتندوف، تحقيق: بريك الله حبيب ، ص:62.

(26) أنظر: رشيد الحسين، الأعلام الجغرافية والهوية (الأعلام الأمازيغية بالصحراء الأمازيغية)، ص: 44.

(27) انظر: يحيى بوعزيز، تاريخ افريقيا الغربية الإسلامية من طلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، ص: 155.

(28) للمزيد عن الحملة راجع: السعدي، تاريخ السودان، ص: 22-23 .

(29) المتوفى عام 1336هـ/1917م

(30) محمد المختار السوسي, المعسول.ج18، ص: 159-160

(31) المتوفى عام 1336هـ/1917م

(32) يقصد المحجوبي في نفس العام أي عام 1287هـ/ 1870م.

(33) سورة النساء، الآية:29

(34)انظر ترجمته الكاملة في المعسول لمحمد المختار السوسي:161،165.

(35) ذُكر في الجزء الأول من الرحلة الحجازية الذي حققه محمد حجي أثناء خروج المؤلف من شنقيط إلى اكّليميم، وأضاف الوَلاتِي أنه نزل بقرية اكّليميم عند أميرها الشيخ دحمان بن بيروك وذكر أنه اجتمع بالشيخ عابدين بن بيروك ولعله أخ الأمير الشيخ دحمان بن بيروك. الرحلة الحجازية للوَلاتِي تحقيق محمد حجي. ص403.

(36) هو فراش من الحرير للمناسبات، وفي العادة يكون كبير الحجم، كما صرح به أحد أعيان المدينة.

(37) أسرة كانت تعرف بكرمها وحسن ضيافتها في تندوف، المعسول:529/8.

(38) هو: فقيه مالكي من آل تجاكانت أخذ عن أبيه المختار بن الأعمش وأخذ عن بعض العلماء الذين كانوا يمرون للحج منهم العلامة محمد محمود التركزي مصحح القاموس المحيط والعلامة محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي صاحب الرحلة كان مجتهدا وعالما مشاركا في العربية والفرائض والتاريخ، ت:1318هـ . انظر ترجمته الكاملة في المعسول لمحمد المختار السوسي:161،165.

(39) وقد كان حيا زمن إتمام ديوانه بتاريخ 29جمادى الأولى عام 1303هـ/ موافق نحو 05 مارس 1886م، وكان عمر آنذاك 32 سنة. انظر: عبد الله حمادي الإدريسي، تيندوف وتجكانت تاريخا ومناقب وبطولات، ص: 531-532.

(40) تعتبر اللهجة الحسانية من بين أقدم اللهجات إذ عرف انتشارها إلى إلى ما قبل القرن 8هـ/14م ، وهي اللهجة التي نتجت عن التزواج اللغوي للغة العربية الفصحى واللغة الأمازيغية مما نتج عنه خليط عربي أمازيغي عرفت به أغلب أقاليم الصحراء الإفريقية بدأ من تيندوف بالجزائر وسوس بالمغرب وتوات وسجلماسة وشنقيط بموريتانيا، فالتصاهر بين السوسيين والصحراويين عامة أنتج هذا الخلط بين اللهجتين وأنتج مجموعة من المظاهر الثقافية واللغوية المشترك فيما بينها، أنظر: الطالب بويا لعتيك، الصحراء وسوس من خلال الأدب الحساني (ندوة حول الصحراء وسوس من خلال الوثائق والمخطوطات، التواصل والآفاق)، ص:224.

(41) للمزيد من التفصيل راجع: مخ، عمار بن لعرب الجكني، ديوان حسان، خزانة أهل العبد بتيندوف.

(42) وقد كان حيا زمن إتمام ديوانه بتاريخ 29جمادى الأولى عام 1303هـ/ موافق نحو 05 مارس 1886م، وكان عمر آنذاك 32 سنة. انظر: عبد الله حمادي الإدريسي، تيندوف وتجكانت تاريخا ومناقب وبطولات، ص: 531-532.

(43) للمزيد من التفصيل راجع: مخ، عمار بن لعرب الجكني، ديوان حسان، خزانة أهل العبد بتيندوف.

(44) انظر: ترجمته الكاملة في : عبد الله حمادي الإدريسي، تيندوف وتجكانت,ج: 2، ص:201.

(45) الوثائق الموظفة في النص محفوظة بخزانة أهل العبد بتندوف.

(46) يعني الكاتب أسلفه العلامة محمد بن الصالح بن بارك الله بن حبيب الشانعي الجكني.

(47) أي: مقبوض وملموس.

(48) أي الكنتي وقد حذفت الياء من الإسم لأنه مضاف إليه مجرور بحذفها.

(49) أي لفة من الكتان.

(50) نوع من أنواع الكتان المستعمل وقتها في أسواق تيندوف ومالي والمغرب الأقصى.

(51) أي تينبكتو: احدى مدن ومراكز التجارة بالسودان الغربي.

(52) الوثيقة مؤرخة بالميلادي بتاريخ:1881م.